# الروائيات الجزائريات وخصوصية الكتابة النسوية ذات التعبير الفرنسي

**أ. سامية إدريس**
**جامعة عبد الرحمن ميرة ـ بجاية**

يهدف هذا المقال إلى استجلاء خصائص الكتابة النسوية عند الروائيات الجزائرات اللائي يكتبن باللغة الفرنسية، وقد خصصنا جانبا منه لمعالجة إشكالية المصطلحات بين كتابة نسائية، نسوية أو كتابة أنثوية وأشرنا تبعا لذلك إلى الأسس النظرية للنقد النسوي. ووصفنا في الجزء الثاني من المقال بعض ملامح الخصوصية في الكتابة الروائية من خلال أمثلة روائية .

قبل مساءلة التجربة الروائية للكاتبات الجزائريات باللغة الفرنسية، والبحث عن موقع لكتاباتهن ضمن ما يعرف في النقد الأدبي بـ"الكتابة النسوية "يجدر بنا أن نشير إجمالا إلى إشكالية المصطلح والخلفية النظرية التي أنتجته لنبين تفاعلاته في الخطاب الإبداعي للروائيات الجزائريات باللغة الفرنسية.

ا) ـ **عن إشكالية المصطلح :** تم تداول عدة مصطلحات ما بين أدب (ونقد) نسائي وأدب (ونقد) نسوي، وما بين كتابة المرأة والكتابة الأنثوية أو ما بين خطاب نسوي وخطاب أنثوي.

يعود أساس الاختلاف في طرح هذه المصطلحات إلى اختلاف في طرح مفهوم المرأة نفسه ووصفها بحكم محددات بيولوجية طبيعية أو بمقتضى محددات اجتماعية ثقافية، وهذا ما يقودنا إلى طرح سلسلة من الأسئلة الصعبة؛ هل يعود تفوق الرجل على المرأة إلى خصائص طبيعية كامنة فيها أم يرجع إلى وضع تاريخي ثقافي وضعت فيه ومنعها من تحقيق ذاتها ؟ لماذا سيطر الرجل على التاريخ وغيبت عنه المرأة ؟ لماذا انفرد الرجل بالكتابة وهمشت المرأة ؟

لا شك أن المرأة كانت حاضرة دوما حتى وإن لم تنصفها التصورات الثقافية، الشعبية منها والعالمة (الخطاب الفلسفي مثلا)، لكن قضاياها لم تطرح بشكل واع إلا في مرحلة متأخرة جدا مع ظهور ما يصطلح عليه بـ"الحركة النسوية" في البلاد الأوروأمريكية، فالوعي بوضع المرأة والجهر بما تعانيه من ظلم واستغلال وتمييز جنسي ...الخ ثم طرح هذه المسائل وصياغة مطالب سياسية وحقوقية واجتماعية حولها، ونضال النساء لتحقيقها في جمعيات وأحزاب وتنظيمات، كل هذا سمح بنقلة نوعية في مجال التنظير للمرأة ولكل ما

يتعلق بها في ميادين العلوم والإبداع، حيث نجم عن الحركات النسوية ظهور نظريات نسوية في الفلسفة التحليل النفسي والأنثروبولوجيا والدراسة الأدبية والنقدية وفي مجالات الإبداع، وقد حاولت هذه النظريات إعادة قراءة التاريخ والثقافة بمنظور آخر غير المنظور الذكوري باحثة عن المساواة مع الرجل بمقاييس الرجل تارة، وعن إثبات الاختلاف عنه تارة أخرى .

لا تنطلق النسوية الغربية كلها من نفس الأسس الفكرية، كما أن تأثيراتها التثاقفية على النقد العربي أفرزت اضطرابا كبيرا في المصطلحات ولبسا في المفاهيم التي حملت بها . ينضوي هذا الخطاب في ثنايا النقد الثقافي وقد تطور في الغرب منذ الستينات واهتم بإبداع المرأة، ماضيا وحاضرا، مستقصيا جوانبه المضمونية والشكلية، في أبعادها الفنيةو الفلسفيةو الاجتماعية المختلفة، بهدف إعادة الاعتبار لأدب المرأة المهمش تاريخياو "استكشاف الكيفية التي يقوم بها الأدب النسائي بتمثيل عالم المرأة جسديا وثقافيا ونفسيا"[1] إلى جانب فضح صورة المرأة التي يروج لها الأدب الذي أنتجته المنظومة الأبوية والذي يظهر المرأة كائنا دونيا، من الدرجة الثانية. بصيغة أخرى "اهتم النقد النسوي بالمرأة بوصفها علامة ثقافية في التكوين المجتمعي، فتصدى لاستغلال المرأة جسديا، والتسلط الذكوري الممارس عليها بحماية المؤسسات الثقافية الاجتماعية"[2]. ويمكن تلخيص مهام النقد النسوي في:

ـ إعادة قراءة التاريخ الأدبي وتصحيحه بإنصاف المرأة وإبداعها التي همّشه مؤرخو الأدب الرجال من منطلق أحكام مسبقة .

ـ الاهتمام بالإبداع الأدبي للمرأة وتحليل خصائصه اللغوية والبنائية والجمالية.

ـ رصد صورة المرأة في الأدب للكشف عن تحيزات المركزية الذكوريةو تفكيكها، ففي فرنسا "اتجه النقد النسوي للإفادة من التحليل النفسي، واستخدمت أدواته لدراسة نماذج أدبية تظهر اضطهاد النساء في المجتمع الذكوري، وقد أوضحت هيلين سيكسوس في دراستها ما ينضح به الأدب الذكوري من تحيف على حساب المرأة، فالرجل في هذا الأدب هو الذي يتمتع بالصفات الايجابية: الفعالية، المنطق، التحضر، طيبة القلب، بينما لا تتصف المرأة في هذا الأدب إلا بالصفات السلبية كالخديعة والتقلب والخيانة والضعف"[3].

من الضروري أن نميز في البنية الفكرية الخطاب النسوي بين ثلاثة رؤى ليتسنى لنا وضع إشكالية المصطلح في إطارها الصحيح :

1ـ النقد النسوي الحداثي، وهو نقد يؤمن بفكرة المساواة مع الرجل ويسعى لتحقيقها عن طريق "إستراتيجية المطابقة" إذا ما استعرنا مصطلح عبد الله إبراهيم، وأبرز من تمثله الفيلسوفة الفرنسية "سيمون دي بوفوار" في كتاب

"الجنس الثاني"1949 يعتبر هذا الكتاب إنجيل الحركة النسوية، وقد طرحت فيه بوفوار مجموعة من القضايا التي تنادي أولا وأخيرا بتحرير المرأة في إطار المساواة مع الرجل في المجتمع وقد طرحت فيه حسبما ترى العديد من الباحثات النسويات أول تنظير لمفهوم "المرأة" بوصفه إنشاء ثقافيا صاغه الرجل بما يخدم احتياجاته وايديولوجيته، وليس معطى طبيعيا وقدرا بيولوجيا، ومطالبتها بالمساواة لا تخرج عن النظام الأبوي القائم بل تكون ضمن إطار عالمي حيث يتم التغاضي عن الفروق بين الرجل والمرأة في حين يتم التركيز على أوجه التشابه بين الجنسين، وقد أدى هذا المنظور ببوفوار إلى رفض الخصوصية الأنثوية بل واتخاذ موقف سلبي منها، وهذا ما توضحه كريستيفا من خلال موقف بوفوار من الجسد الأنثوي ومن الأمومة التي تعتبرها بوفوار استلابا.[4]

إن دعوة بوفوار إلى حرية المرأة ضمن المساواة مع الرجل تقوم على فرضية وجود فضاء محايد "عالمي"، لمن لا وجود لمثل هذا الحيز المحايد لأنه حيز مذكر، وفكرة "العالمية" ذاتها هي نتاج للفكر الغربي ذي المركزية اللوغو- قضيبية phallogocentrique [5]. ترى لوس إيريغاري Luce Irigary أن بوفوارى كانت تناضل في سبيل تحرير النساء داخل النظام الذكوري لأنها تضع النساء في علاقة مع الرجال وترى المقياس الذكري هو المعيار المرغوب من طرف النساء كذلك، لكن بوفوار لم تؤمن قط بفكرة "الاختلاف" وتعتبر الرجل نفسه سجينا للمجتمع، وتدعو إلى عالم يتآخى الرجال والنساء .

2 ـ نقد الخصائص النسائية، وهو يؤمن أن تحرر المرأة لا يكون إلا بالتأكيد على اختلافها عن الرجل وعلى خصوصيتها كأنثى، وينطلق من رفض جذري للهيمنة الذكورية، والدعوة إلى استبدال هذا النظام ذاته كشرط لتحقيق هوية المرأة، وبدلا من الدعوة إلى المساواة والتغاضي عن الاختلاف، تبرز بحدة خصوصية المرأة، وهي الفكرة التي أنتجت مصطلح "الكتابة الأنثوية" الذتي تتوقع منها سيكسوس أن تتجاوز التعارض الثنائي المترسخ في الفكر الفلسفي الغربي، وتتيح تطور نظام سوسيو- رمزي جديد[6]، لكن هذا التوجه أفرز نزعات متطرفة تستبدل مركزية بمركزية أخرى، " حيث انتقلت الرغبة في إزالة التميز الوظيفي على أساس الجنس إلى تفضيل المرأة وتمجيد الأنثى، مما يهدد بالدوران في الحلقة المفرغة ذاتها، فالإدعاء بأن الأنثى هي الأصل لا يختلف تماما عن الإدعاء بأن الرجل هو الأصل، وهكذا .."[7].

3 ـ الدراسات الجندرية أو الجنوس: يحيل هذا المصطلح إلى وحدة النوع البشري حيث نجد في كل إنسان خصائص أنثوية وخصائص ذكورية سواء كان رجلا أو إمرأة، وتفعيل هذه الخصائص أو تلك أثناء الكتابة هو ما يعطي الكتابة

صفاتها، وليس الجنس البيولوجي للمؤلف[8]. وجوليا كريستيفا من المنافحات عن هذا الطرح فقد ناقشت في دراساتها الجندرية " البديهيات التي لا تجعل أي أحد يملك جنسه البيولوجي، من ثم كانت وجهة نظرها حول الأدب النسائي ترتكز على :

أولا: رفضها للتحديدات البيولوجية التي تعتبر أساسية في التمايز الجنسي، فالمرأة تطلب الانخراط المتساوي واقعيا ورمزيا للتحرر النسائي .

ثانيا: النساء من وجهة نظرها يرفضن التراتب الرمزي الذكوري باسم التمايز "[9]

اختلف الدارسون العرب، إذن، في استعمال المصطلحات بين كتابة (أدب/ نقد) نسائي، وكتابة (أدب/ نقد) نسوي، وكتابة (أدب/ نقد) أنثوي، كما اختلفوا في مفاهيم هذه المصطلحات مما تسبب في الخلط الذي أشرنا إليه سالفا.[10]

يتحدد الأدب النسائي بالنظر إلى الجنس البيولوجي لمنتجه، إنه كل أدب تكتبه المرأة بغض النظر عما إذا كانت تكتبه للمرأة ومن أجل المرأة أم لا، وقد رفض كثير من النقاد والناقدات هذا المصطلح لأنه يقوم على تمييز جنسي فئوي للأدب، ومن هؤلاء الناقدة خالدة سعيد حيث تقول: "فالقول بكتابة إبداعية نسائية تمتلك هويتها وملامحها الخاصة يفضي إلى واحد من الحكمين: إما كتابة ذكورية تمتلك مثل هذه الهوية ومثل هذه الخصوصية إلى الفئوية الجنسية، فلا تعود صالحة كمقياس ومركز، وإما كتابة بلا خصوصية جنسية ذكورية، أي كتابة بالإطلاق، كتابة خارج الفئوية، مما يسقط الجنس كمعيار صالح للتمييز إلى ذكوريو نسائي"[11] ولا تعترف الناقدة يمنى العيد بوجود أدب نسائي أو خصوصية و"لا تعترف إلا بوجود" نتاج ثوري يلغي مقولة التمييز بين الأدب النسائي كما يلغي الخصوصية النسائية كطبيعة تعيق مساهمتها في ميادين الإنتاج الاجتماعي والتي منها الأدب ".

أما الأدب النسوي فهو الأدب الذي تكتبه المرأة من أجل المرأة، إنها "كتابة تلجأ فيها المرأة إلى توظيف الأدب كأداة للاحتجاج على أوضاعها الاجتماعية والأسرية والتعليمية والسياسية، وعلى أوضاع المرأة عموما داخل المجتمع الذكوري، وللاحتجاج على الرجل"[12]، لكن بعض النقاد يخلطون بين النقد النسائي والنقد النسوي، وهذا حسام الخطيب يتخذ موقفا من "الأدب النسائي" الذي يفهمه بأنه الأدب الذي يكتب من أجل المرأة على أساس أن الرجال أيضا كتبوا عن المرأة مما يؤدي به إلى رفض الأدب النسائي بحجة أن هناك من الرجال من يكتبون عن المرأة ومشكلاتها الخاصة كإحسان عبد القدوس[13].

توضح يسرى مقدم الفرق بين الكتابة النسائية والكتابة النسوية باعتبارها" الرواية النسائية لا تتمذهب أو تتأدلج أو تتنتج قولا فهي لا تملك القدرة على الفعل على غرار ما تفعل قرينتها الرواية النسوية، كما ليس لها ما

لهذه الأخيرة من مقاصد وتوجهات فكرية ومعرفية تتقولب داخل الخطاب الإيديولوجي النسوي الذي يقحم في الرواية حيث تعلو نبرة القول ويطغى الهاجس الفكري على حساب هواجس البناء والفنية في قصدية واعية تتوسل الفن الروائي وسيلة لا غاية بذاتها بوصفه معبرا يتيح للمرأة فسحة للتعبير عن اختلافها وخصوصيتها نفسيا وجسديا وفكريا وثقافيا لتباشر من خلاله نهجا مغايرا في الكتابة الروائية "[14].

أما الباحثة هيام الخلوصي فهي تستعمل مصطلح الأدب النسائي لكنها تقصد به الأدب النسوي، نستنتج هذا من قولها "لا يمكن اعتبار كل ما تكتبه المرأة أدبا نسائيا لمجرد كون منتجه أنثى، ولا يعني كثرة الأسماء النسائية في أي إنتاج أدبي بالضرورة ازدهارا للأدب النسائي"[15] أي أنه لا يكفي أن تكون الكاتبة امرأة ليكون أدبها نسائيا بل يجب أن تمتلك وعيا بخصوصية وضعها كإمرأة في المجتمع، ويتشكل هذا الوعي في كتابتها .

في حين يقوم مصطلح "الكتابة الأنثوية" على فرضية وجود خصوصية في كتابة المرأة وتشترط الوعي بهذه الخصوصية وترجمتها في الكتابة بشكل ايجابي، وقد طرح هذا المصطلح "الكتابة الأنثوية" في منتصف السبعينات من القرن العشرين على يد الناقدة الفرنسية هيلين سيكسوس Hélene Cixous، لتؤكد من خلاله ضرورة البحث عن كتابة أخرى، مخالفة للنماذج السائدة والمحددة سلفا، وذلك عن طريق إقامة علاقة مختلفة مع اللغة والأدب، وهي تحصي بعضا من جوانب هذه الخصوصية في تعامل المرأة مع الكتابة في ايثار الصوت والأبعاد الشفاهية للغة، وامتياز الجسد الذي تنعكس فيه الأنوثة والذي تسعى من خلاله إلى نحت مخيال لغوي أنثوي كما وضحت ذلك في مقالها الشهير "ضحكة الميدوزا" الذي "يدعو النساء إلى أن يضعن أجسادهن فيما يكتبنه [قائلة]: "اكتبي نفسك، يجب أن تسمعي صوت جسدك، هو وحده الذي يفجر المصادر الهائلة للاشعور، وليس هناك عقل أنثوي عام، بل هناك خيال أنثوي جميل غير محدود"[16].

وقد استعملت الناقدة نازك الأعرجي مصطلح "الأدب النسوي" في معنى الأدب الأنثوي لأنها ترفض الدلالات السلبية التي التصقت بالأنوثة في الثقافة العربية فهو في نظرها لفظ "يستدعي على الفور وظيفتها الجنسية، وذلك لفرط ما استخدم اللفظ لوصف الضعف والرقة والاستسلام والسلبية "أما مصطلح الكتابة النسوية فهو "يقدم المرأة والإطار ـ المحيط بها ـ المادي والبشري والعرفي والاعتباري الخ في حالة حركة وجدل"[17]

ومن النقاد من تأثر بالدراسات الجندرية فحاول تحييد الجنس البيولوجي والتركيز على خواص الكتابة، مثلما فعلت الناقدة زهرة الجلاصي بصياغتها لمصطلح " النص المؤنث "وهو" ممارسة وطريقة تعبير وكتابة، ومن هذا المنظور قد تتاح للمرأة فرصة الامتياز بمعنى الاختلاف لا معنى المفاضلة"[18] لأن

النص يغدو حاملا لصفة المؤنث استنادا لأليات الاختلاف لا الميز، فلن يحتاج إلى مبدأ المقابلة مع المذكر لأنه ينزع إلى امتلاك منزلته خارج المقابلات التقليدية[19] ويتصف النص المؤنث بأنه نص "لا يأبه بالحدود والتعريفات، ولا يعترف إلا بصنف واحد من الكتابة، وهي الكتابة من الداخل، كل هذه الخصائص المذكورة تسم اقتصاد المؤنث كما يمكن أن يتوزع في فضاء هذا النص، لكنه لن يقطعمع ثنائيته الجنسية بما في ذلك النصوص التي توافقت مع جنس مبدعتها"[20]

ولنمنح مسك الختام في هذه المسألة للناقد إدوارد سعيد فـ"الأدب الذي تكتبه المرأة يسميه ببساطة كتابة المرأة أو الأدب النسوي، أما الأدب الذي يعبر عن موقف محدد عقائدي، ينبع بما يعتقد به صاحبه أو تعتقد صاحبته بانه سمات خاصة بالأنثى ورؤياها للعالم وموقعها فيه، فغنه يسميه أدبا أنثويا موازيا.و هكذا يتحدث عن "النقد الأنثوي" وعن الحركات الأنثوية، وما يعنيه هذا التمييز، هو أن النقد الأنوثي قد يكتبه رجل لا أنثى أما الأدب النسوي فهو من إنتاج إمراة/أنثى تحديدا، موازيا للأدب الذي يكتبه الرجل"[21]

بقي أن نوضح موقع النتاج الأدبي للمرأة الجزائرية ضمن هذه المصطلحات، والذي ارتأينا أن نضعه في سياق "الأدب النسوي" بالمعنى الذي يكون فيه كتابة للمرأة من أجل المرأة لكن من الضروري التنبيه أن الكاتبات الجزائريات قد نأين على العموم عن الطروحات المتطرفة في النقد النسوي الغربي وهن يطرحن مسألة الخصوصية من منظور المشاركة مع الرجل، ويبدين تعاطفا معه بوصفه ضحية للمجتمع وللتخلف الحضاري أكثر مما يركزن على منظور الاختلاف الذي يؤدي إلى صراع وتناحر لا يفضي إلا إلى تدمير المجتمع .

**II) ـ من ملامح الخصوصية في الرواية النسوية الجزائرية:** من هذا المنطلق نتساءل: إلى أي مدى قاربت التجربة الروائية لدى الكاتبات الجزائريات باللغة الفرنسية فكرة الخصوصية، وما هي أبرز تجلياتها ؟

تتميز الكتابة النسوية الجزائرية بالتجديد من ناحية المواضيع، حيث تناولت تيمات الحبس، الجنون، العنف الجنسي داخل مؤسسة الزواج، الإجهاض، تصوير المشاهد الجنسية، ارتياد الفضاءات الأنثوية وغيرها .

تعد تيمة الحبس والاحتجاز من أكثر المواضيع حضورا في الرواية النسوية الجزائرية، فحتى لو كانت الكاتبات أنفسهن لا يعانين الاحتجاز إلا أنهن يعدن إنتاجه أثناء الكتابة حين ينقلن العالم الداخلي لأمهاتهن ولطفولتهن، وخير مثال رواية "الظل السلطانة " لآسيا جبار، تحكي الرواية عن التضامن بين إسما Isma وحجيلة Hdjila المرأة التي اختارتها لزوجها الذي انفصلت عنه، فبعد طلاقها، تختار الساردة إسما فتاة شابة فقيرة لتكون زوجة ثانية لزوجها وأما لابنتها مريم التي بقيت في حضانة أبيها، لكن هذا الزواج كان تعيسا، فالرجل عاجز جنسيا وقد

أصبح عنيفا، يائسا وسكيرا، يبحث في الخمرة عن ذكريات زوجته الأولى، حجيلة بدورها تختنق في الشقة الفاخرة الباردة، ومن العلاقات العنيفة فتقضي أيامها في نزهات طويلة خارج البيت، محجبة في البداية ثم تتخلى عن الحجاب تدريجيا إلى أن تتخلص منه نهائيا وتخرج سافرة مما يثير حفيظة زوجها، وفي إحدى الليالي العنيفة يصيبها بشظية زجاجة ويحتجزها في البيت لكن إسما تأتي لنجدتها بان تسلمها مفتاح الشقة ليصبح في وسعها الخروج كلما خطر لها ذلك، لقد اكتشفت حجيلة السعادة في بساطة فعل المشي خارجا بدون قيود، هي التي عاشت محتجزة من طرف أمها في بيتهم الفقير ثم في شقة زوجها الفاخرة[22].

ومن المواضيع التي عالجتها الرواية النسوية الجزائرية باللغة الفرنسية تيمة الجنون وهو الموضوع المحوري في رواية "حديقة الكريستال" لمليكة غالم والتي تقص حكاية كفاح من أجل الحياة، كفاح ضد الموت والجنون . تبدأ الرواية بسرد في باريس، التي تتواجد بها الساردة لتسليم رسالة ومخطوط لأم صديقة تعرفت عليها حديثا هي شريفة، ويتحتم عليها أن تتولى كذلك القراءة للأم لأنها أمية. تجد الساردة نفسها تتصفح مع الأم وتحت أنظارها حياة شريفة، تروي شريفة آنذاك مشوارها في جحيم الجنون وحربها ضد الأشباح والكوابيس. تحاول الساردة شريفة كذلك أن تقاوم الأحكام المسبقة حول الأمراض غير الجسدية حيث ترى المخرج من كابوسها رهينا بعثورها على طبيب لا يعتبرها مجرد مريضة بل إنسانة. إن الساردة مسجونة في مصح نفسي، إنها في "الداخل"، ونسبة إلى هذا الداخل يتعارض كل "الخارج" وعن بقية العالم، ولا تحلم إلا بالقدرة على الالتحاق بالخارج. هذا الوضع يذكرنا بكل النساء الجزائريات اللائي هن مسجونات، ليس في مصح ولكن في منازلهن. لا شك أن الساردة تعاني من السكيزوفرينيا، وهي تعي ذلك وتقول أن الأطباء يقولون ذلك، ويبقى عليهم أن يثبتوا الأمر. من جهتها فإنها تحلل حالتها كهروب إداري نحو داخل أكثر أمانا وراحة مثل رحم الأم. إن التعارض بين الداخل والخارج ينسحب حتى داخل الشخصية، منذ صغرها اختارت الساردة الهرب، منذ اللحظة التي مات فيا والدها منتحرا أرادت هي أن تموت، لكنها ارتأت أن عليها العيش من أجل أطفال أمها، لكن الحياة لن تكون هي نفسها، من هذه اللحظة بدأ الانشطار بين الداخل والخارج، ونمت فيها شخصية غريبة عنها ترفض التأقلم مع محيطها وتتعارض مع الجزء الآخر منها[23].

اهتمت الروائيات الجزائريات كذلك بمواضيع الحب والزواج وما يدور في فلكهما، وتعتبر رواية حواء جبالي "Agave" من العلامات البارزة لتناولها لموضوع حساس هو العنف الجنسي داخل مؤسسة الزواج. تصف الرواية كيف

يدمر الزواج بمراسيمه التقليدية قيم المحبة الإنسانية بين الشابين ليتحول إلى كابوس حين يجد الزوجان نفسهما في وضعية استحالة الحوار بينهما. تروي الصفحات الأولى من الرواية مأساة يوم الدخلة: صورة امرأة متحصنة بالسرير، وصورة الرجل مدفوعا بالتقاليد وهو يتجه إليها ليأخذها بالقوة ويسلم دليل عذريتها للعمة التي تقرع الباب. انطلاقا من عنف الليلة الأولى الذي فرضته التقاليد على الرجل والمرأة، والرواية منقولة من وجهة نظر الزوج السارد، يولد كابوس العلاقة الزوجية حيث يفقد الطرفان القدرة على التواصل الإنساني، ويتم الشفاء من هذه الحالة بعد انفصال الزوجين، وخوضهما لتجربة الجبل الأخضر بفضل شخصية استثنائية هي شخصية الراوية عائشة التي تعيش في انسجام مع العالم الذي يحيط بها. بعد مغادرة الزوج ترفض فريدة البقاء وحيدة وتنضج شخصيتها فجأة، تتخلص من أعباء القبيلة وتنتابها الرغبة في الكلام ونبذ الصمت، والرغبة في استعادة وجودها وصوتها، تلتحق هي الأخرى بالجبل الأخضر وتلتقي بعائشة التي تحرر صوتها وضحكتها، وفي المكان نفسه، يتصالح الرجل مع نفسه ويستعد الزوجان لمحاولة بداية جديدة، لكن الرواية لا تضمن نجاح هذه المحاولة حيث تختتم بتساؤل الزوج: "فيما تفكر؟"[24].

تجرأت الكتابة النسوية الجزائرية على ملامسة ووصف مواضيع أخرى حساسة مثل الإجهاض الذي تناولته رواية "في البدء كان البحر" لميساء باي ووصفا للمشاهد الجنسية وصفا حسيا تمليه الضرورة الفنية كما هو الشأن في أعمال آسيا جبار ومليكة مقدم على سبيل المثال، كما نجد وصفا للفضاءات الأنثوية مثل فضاء الحمام الذي تتوقف عنده آسيا جبار في رواية "القبرات الساذجة".

أما من الناحية الشكلية، فإننا نلحظ الميل نحو السيرة الذاتية حيث كان أول نص تكتبه إمرأة جزائرية باللغة الفرنسية سيرة ذاتية، وهو "حكاية حياتي" لفاطمة أيث منصور عمروش، ونجد سمات السيرة الذاتية كذلك في "ليلى، فتاة من الجزائر" لجميلة دبيش، وقد صرحت آسيا جبار بعد انقطاعها عن الكتابة لمدة من الزمن أنها أحست بالخطر إذ وجدت نفسها على مشارف السيرة الذاتية، ولا تخلو أية رواية من روايات مليكة مقدم من إحالات ضمنية إلى سيرتها الذاتية، وقد صرحت أنه أمر لا مفر منه لكل كاتبة، إذ عليها أن تكتب عن نفسها لتتمكن بعض ذلك من القيام بوظيفة الراوية .

ومن مميزاتها التحام الذاتي والموضوعي، الشخصي والتاريخي، والذي تقدم روايتي "القبرات الساذجة" و"الحب، الفانتازيا" أمثلة جيدة عنه. فرواية "القبرات الساذجة" تضع القصة الشخصية في قلب التاريخ الجماعي، وتدور أحداثها في أواخر الثورة التحريرية في مخيمات اللاجئين على الحدود التونسية.

تقص الرواية حياة البطلة نفيسة، مجاهدة كانت أسيرة ثم حررت، وارتبطت بعاطفة الحب مع رشيد لكن النهاية لم تكن سعيدة . تتألف الرواية من ثلاثة أجزاء معنونة على التوالي: "اليوم"، "في الماضي" و"في الماوراء". يصف الجزءان الأول والأخير حياة اللاجئين والمهاجرين في تونس، أما الجزء الثاني فيصف البحث عن الحب والسعادة الفردية. وتتميز الرواية بتدخلات الراوي الصريحة لتقييم العلاقة بين الزوجين حيث يصرح في نهاية الرواية: "إني أعرف مسبقا ـ ربما عن حكم مسبق راسخ ـ بأن الحرب التي تنتهي بين الشعوب تولد بين الأزواج "[25] أما رواية "الحب الفانتازيا"، فهي تربط السيرة الذاتية بالتاريخ ضمن شكل عالِم للخطاب الحواري"[26] حيث تدخل في شبكة من التناصات مع كتابات حول الغزو الفرنسي للجزائر، واستعادة لوجهات نظر الغزاة بغية الكشف عن زيفها ومساءلتها. والرواية كذلك نقل لأصوات النساء اللائي تسجل ذاكرتهن تاريخ ثورة التحرير. ترد الرواية على لسان ساردة ولدت تقريبا في سنوات الثلاثينات والأربعينات، ابنة معلم ترتاد المدرسة، لكنها تعيش في وسط أسري ناطق بالعربية والأمازيغية فقط. لكن الرواية تعالج وراء قضية اللغة المشاكل المعقدة المتعلقة بالحريات والممنوعات وبتربية البنات، وعلى الرغم من شعور البطلة بامتياز على بنات جنسها والتي تتحمل صادقة عبء الإفصاح عن أصواتهن المصادرة، إلا أنها بحكم تكوينها وثقافتها تشعر بالغربة بينهن ولولا أنها احتفظت بلهجتها العربية سليمة النطق لما تقبلنها بينهن.

تحيلنا هذه الرواية إلى خاصية أخرى في الكتابة النسوية الجزائرية وهي تعدد الأصوات وهاجس مساءلة الذاكرة النسوية التي لا يأبه التاريخ بتسجيلها، كما نجد في الرواية خاصية التلاعب بوجهات النظر حيث نجد أن آسيا جبار توكل السرد في البداية للعيون الغازية للأخر الجلاد. خاصية نعثر عليها كذلك في رواية "أغاف" التي تسند السرد للأخر الرجل في إطار لعبة الأنوثة والذكورة.

كما نتوقف على ظاهرة تداخل الأجناس عندما يثار الجدل حول الهوية الأدبية لنص مثل "صبرينة، لقد سرقوا حياتك "لمريم بان، أو عندما يصف كاتب ياسين رواية "المغارة المتفجرة " ليمينة مشاكرة في تقديمه لها بقوله أنها "قصيدة نثرية طويلة يمكن أن تقرأ كرواية"[27].

إلى جانب تعدد الأصوات ووجهات النظر وتداخل الأجناس الأدبية، نلحظ في الرواية النسوية الجزائرية محاكاة للبعد الشفوي من رؤية نقدية غير فولكلورية، الانفتاح على التراث الأدبي الجزائري بالعربية والفرنسية، وعلى التراث الأدبي العربي والغربي. ولنذكر على سبيل المثال رواية نينا بوراوي

"يوم الزلزال" حيث نجد إحالة ضمنية إلى تيمة الزلزال في الأدب الجزائري باللغة العربية، خاصة رواية الزلزال للطاهر وطار حيث يشحن الزلزال بدلالات القطيعة.

**الهوامش:**

1- عبد الله إبراهيم: الرواية النسائية العربية تجليات الجسد والأنوثة، على الموقع: http://www.alimbaratur.com/All_Pages/Ta2_Stuff/Ta2_12.htm

2 – المرجع نفسه.

3 – إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، الأردن، دت، ص 136.

4 - Honors Thesis et Caroline Crowford : la création du féminisme français par les féministes anglophones dans les années '80 et '90, in http://deepblue.lib.umich.edu/bitstream/2027.42/63975/1/crawford_caroline_2009.pdf

5- نهال مهيدات: الآخر في الرواية النسوية العربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008، ص14.

6 Honors Thesis et Caroline Crowford : la création du féminisme français par les féministes anglophones dans les années '80 et '90, in http://deepblue.lib.umich.edu/bitstream/2027.42/63975/1/crawford_caroline_2009.pdf

7- إبراهيم محمود خليل : النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ص 137.

8 انظر ميجان الرويلي، سعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت . الدار البيضاء، ط5، 2007، ص 149 - 154 .

9 – عبد النور إدريس: "الكتابة النسائية، حفرية في الأنساق الدالة: الأنوثة.. الجسد.. الهوية "، الفصل الثالث: مؤسسة الكتابة النسائية بداية الوعي بالهوية وإرهاصات النقد" كتاب رقمي . يمكن تحميل الكتاب على الرابط: http://www.4shared.com/office/IhC7gdTR/ .html

10 – سعيدة بن بوزة: "الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي" بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث، مخطوط، جامعة الحاج لخضر . باتنة، السنة الجامعية 2007-2008، ص 40.

11 – خالدة سعيد: "المرأة، التحرر والإبداع"، سلسلة نساء مغربيات، بإشراف فاطمة المرنيسي، نشر الفنك، 1991، ص 86 .

12- محمد معتصم: جماليات السرد النسائي، على الموقع: http://motassim.canalblog.com/archives/2007/02/21/4087471.html

13- سعيدة بن بوزة: "الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي"، ص 40.

14 – يسرى مقدم: النقد النسوي العربي (أنوثة لفظية وخصوصية موهومة)، مهرجان القرين الثقافي الثالث عشر، ندوة الخطاب النقدي العربي (الانجازات والأسئلة)، الكويت، 21 ديسمبر 2006، على الموقع: http: //www.kuwaitculture.org/ qurain13/ word/ yosra.doc

15 – سعيدة بن بوزة: "الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي"، ص 43.

16 – رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، تر/ جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 214 .

17 – أنظر سعيدة بن بوزة: "الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي"، ص 45.

18 – زهرة الجلاصي: النص المؤنث، دار سراس للنشر، تونس، 2000، ص 27 .

19 – زهرة الجلاصي: النص المؤنث، تقديم: محمد القاضي، ص 4.

20 – المرجع نفسه، ص 24.

21 – إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الأدب، بيروت، ط2، 1998، ص 52– 53 .

22 - Diwan d'inquiétude et d'espoir ; La littérature féminine algérienne de langue française, collectif sous la direction de Christiane Achour, ENAG / EDITIONS, Alger, 1991, p 84-85

23 - Regarder, Esma Lamia AZZOUZ : Ecritures féminines algériennes de langue française (1980-1997) Mémoire, Voix resurgies, Narrations spécifiques, thése de doctorat, Tome I, université de Nice – Sophia Antipolis, septembre 1998 (manuscrit), P 28 – 36.

24 - Bouba Mohammedi-tabti : Regard sur la littérature féminime, p116 in http://www.revues-plurielles.org/_uploads/pdf/4_69_11.pdf

25 - Diwan d'inquiétude et d'espoir ; La littérature féminine algérienne de langue française, collectif sous la direction de Christiane Achour, p 68.

26 - Ibid, p 78.

27 - Diwan d'inquiétude et d'espoir ; La littérature féminine algérienne de langue française, collectif sous la direction de Christiane Achour, p 101.